المجمع **12** (2017/1438)، 157-188

حلقات الإقراء في بلاد العراق في خلافتي الفاروق وذي النورين (2)

عمر يوسف عبد الغنيّ حمدان*

تلخيص:

يُلقَى الضَّوْءُ في هذا البحثِ على نشأة حلقات الإقراء التي كانت وليدة تمصير البلدان الإسلاميّة، كالبصرة والكوفة، مع إنشاء مَثِيلاتٍ لها في الوقت ذاته ببلاد الشام على سبيل المثال، كما في حمص ودمشق وبيت المقدس؛ فموضوعه يدور حول حلقةِ الإقراءِ التي أشرف عليها الصحابيّ أبو موسى الأَشْعَرِيّ (ت44هـ) بجامع البصرة الكبير وحلقةِ الإقراءِ التي أسّسها الصحابيّ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ (ت32هـ) بجامع الكوفة الأعظم، كلتاهما بالتزامن مع تأسيس حلقاتِ الإقراءِ الشاميّة التي رعاها الصحابة عُبَادَةُ بن الصَّامِتِ (ت34هـ) وأبو الدَّرْدَاء (ت32هـ) ومُعَاذُ بن جَبَلٍ (ت18هـ) بجامع حمص وجامع دمشق ومسجد بيت المقدس (القدس)، وجميعها بدعمٍ وتوجيهٍ وترشيدٍ من الخليفة عمر بن الخطّاب (ت23هـ) ضمن سياستِهِ التعليميّة في البلاد المفتوحة، ثمّ متابعتها السديدة من قبل الخليفة عثمان بن عفّان (ت35هـ)، حين أرسل المصاحف العثمانيّة إلى الأمصار الإسلاميّة مصحوبة بأئمّةٍ من القرّاء غرض التوحيد من جهة وإبطال الاعتماد على المصاحف الخاصّة التي كان يمتلكها عدد من الصحابة وليست على العرضة الأخيرة من جهة أخرى. يسعى البحث مع قلّة الروايات وشُحّ الأخبار بهذا الخصوص إلى تقديم صورة عن نظام تعليمِ القرآنِ الكريمِ في هذه الفترة ومناهجه المختارة وطرائق التدريس المعمول بها فيه وما يتّصل بذلك مِنْ مسائل تنظيميّةٍ وقضايا تربويّة.

المقدّمة:

بعيد الفتوحات الإسلاميّة خارج شبه الجزيرة العربيّة وتمصير الأمصار فيها أصبحت الحاجة كبيرة وملحّة بالتوازي مع التنظيمات الإداريّة والقضائيّة والماليّة إلى بناء مؤسّسات تنويريّة، تعلّم أهالي الأمصار الجديدة والبلدان المفتوحة القرآن الكريم وتفقّههم في تعاليم الإسلام

* أستاذ التفسير وعلوم القرآن ومشرف كرسيّ تدريس العلوم القرآنيّة بمعهد العلوم الشرعيّة الإسلاميّة، جامعة توبنگن، مدينة توبنگن الجامعيّة، جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة.

وشرائعه وسُنَنِهِ[1]، فتَأَسَّتِ الخلافة الراشدة بما قام به الرسول، ﷺ، من تأسيس مقارئ تعليميّة في عهده، ﷺ، كمقرأ أهل الصفّة[2]بالمسجد النبويّ[3]، فسارعت في تثبيت دعائم الدين وترسيخ أركانه ومعالمه في كلّ الأمصار وزوّدت أهاليها بنجباء الصحابة للقيام بهذه المهمّات العظام وللنهوض بالأمّة الإسلاميّة الناشئة نهوضًا حضاريًّا قويمًا، يقودها إلى الرئادة والتقدُّم. سيكون التركيز على خلافة عمر بن الخطّاب (ت23هـ) ثمّ على خلافة عثمان بن عفّان (ت35هـ)، وذلك لما جرى فيهما من تطوّرات وإحداثات، كان لها بالغ الأثر والتأثير على تاريخ الأمّة ومستقبلها، بينما لا يسلّط الضوء بهذا الخصوص على خلافة أبي بكر الصدّيق (ت13هـ) وخلافة عليّ بن أبي طالب (ت41هـ)، إذ الأولى كانت مدّتها قصيرة[4]وشُغِلَ الصديّق فيها بالقضاء على حروب الردّة وتمكّن من الشروع بموجة الفتوحات خارج شبه الجزيرة

[1] يُنظَر الدعوة إلى الإسلام (لأَزْنُولْد) 69، تاريخ الترسّل النثريّ عند العرب في صدر الإسلام (للمقداد) 29.

[2] من فقراء المهاجرين. منهم عُقْبَةُ بنُ عامِرٍ الجُهَنِيّ (ت58هـ) وواثِلَة بن الأَسْقَع اللَّيْثيّ (ت83هـ). يُراجَع سير أعلام النبلاء 468/2 و 384/3. جاء عنهم في أهل الصفّة وأحوالهم (لابن تيميّة) 21 «أمّا جملة مَنْ أَوَى إلى الصُّفَّةِ مع تفرُّقهم، فقد قيل: كانوا نحو أربعمائة من الصحابة؛ وقد قيل: كانوا أكثرَ من ذلك. ولم يُعرَفْ كلُّ واحدٍ منهم. وقد جَمَعَ أسماءَهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلميُّ في كتاب تاريخ أهلّ الصفّة، جَمَعَ ذِكْرَ مَنْ بلغه أنّه كان مِنْ أَهْلِ الصفّة» و 61 «أمّا عددهم، فقد جمع أبو عبد الرحمن السلميُّ تاريخَهم؛ وهم نَحْوٌ من ستّمائةٍ أو سبعمائةٍ أو نحو ذلك. ولم يكونوا مجتمعين في وقتٍ واحدٍ، بل كان في شمالِ المسجدِ صُفَّةٌ يأوي إليها فقراء المُهَاجِرين؛ فمن تأهّل منهم أو سافر أو خرج غازيًا، خرج منها. وقد كان يكون في الوقتِ الواحدِ فيها السبعون أو أقلّ أو أكثر. ومنهم سَعْدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ، أحد العشرة، وأبو هريرة وخُبَيْبٌ وسَلْمَانُ وغيرُهم»، سير أعلام النبلاء (للذهبيّ) 385/3 «كُنَّا أَصْحَابَ الصُّفَّةِ. ما مِنَّا رَجُلٌ لَهُ ثَوْبٌ تَامٌّ. ولقد ٱتَّخَذَ العَرَقُ في جُلُودِنَا طُرُقًا مِنَ الغُبَارِ».

[3] كان النبيّ، ﷺ، يرعاه رعايةً خاصّة. يُقابَل سير أعلام النبلاء 468/2 «قال عقبةُ: خرج علينا رسولُ الله، ﷺ، ونحنُ في الصفّة» و 591/2 «كان أهلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافَ الإسلامِ، لا أهلَ ولا مالَ. إذا أَتَتْ رَسُولَ الله، ﷺ، صَدَقَةٌ، أَرْسَلَ بِهَا إليهم ولَمْ يُصِبْ منها شيئًا. وإذا جاءَتْهُ هَدِيَّةٌ، أَصَابَ منها وأَشْرَكَهُمْ فيها».

[4] كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر غير كاملة. يُنظَر الطبقات الكبرى (لابن سعد) 202/3، تاريخ خليفة 80، أنساب الأشراف (للبلاذريّ) 75.

العربيّة، وغلب على الأخيرة موجةُ الفتن والحروب الأهليّة وطابع الصراعات والنزاعات السياسيّة الداخليّة.

تمصير الأمصار الإسلاميّة[1]:

نصّت المصادر العربيّة على أنّ الفاروق مَصَّرَ الأمصارَ في البلدان الجديدة والمفتوحة الواقعة خارج شبه الجزيرة العربيّة وعَدَّتْهُ من أعماله الأوّليّة غير المسبوقة ولا المعهودة. قال آبنُ سَعْدٍ (ت230هـ): «هو أَوَّلُ مَنْ مَصَّرَ الأَمْصَارَ: الكوفة والبصرة والجزيرة والشَّأْم[2] ومصر والموصل»[3]. هذه الستّ هي البلدان الممصَّرة، لكنّه رَوَى بإسنادِهِ عن الحسن البصريّ (ت110هـ) «أنّ عمر بن الخطّاب مصّر الأمصار: المدينة والبصرة والكوفة والبحرين ومصر والشام والجزيرة»[4]، فوردت في روايتِهِ المدينة المنوّرة والبحرين، كلتاهما في شبه الجريرة العربيّة، وهو قول منفرد. أمّا عدمُ ذكرِهِ الموصلَ، فلعلّه ضمّنها في الجزيرة، الجزيرة الفراتيّة المعروفة بجزيرة ابن عمر.

لقد بعث الفاروق إلى هذه الأمصار في جملةِ مَنْ بَعَثَ نُجَبَاءَ من الصحابة، ليعلّموا أهاليها الكتاب والسنّة ويرفعوا إليه ما غُمِيَ عليهم.[5]ثمّ تبعه ذو النورين في هذه المسيرة التي شملت أطرافًا أخرى غير المعلّمين، وذلك كلّه مع فرض أرزاق لهم؛ فقد جاء عن الحسن البصريّ (ت110هـ) «أنّ عمرَ بنَ الخطّاب وعثمانَ بنَ عفّانَ كانا يرزقان المؤذّنين والأئمّة والمعلّمين

---

[1] عن ذلك يُراجَع الخليفة الفاروق (للعاني) 49 (3)، تاريخ الترسُّل النثريّ 134-135 (2).

[2] بالهمز - وجه فيه – وبدون الهمز – وجه آخر أكثر شيوعًا. يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ، فيقال: شام وشامة وشآم؛ وهو شامِيٌّ وشَآمِيٌّ. يُراجَع حدائق الإنعام في فضائل الشام (لابن عبد الرزّاق) 24-25.

[3] الطبقات الكبرى 282/3. كذلك أنساب الأشراف 194 «هو أوّلُ مَنْ مَصَّرَ الكوفةَ والبصرةَ والجزيرةَ والشَّامَ والموصل». يُلاحَظ أنّ (مِصْرَ) غير واردة فيه.

[4] الطبقات الكبرى 284/3. كذلك أنساب الأشراف 194 «عن الحسن أنّ عمر، رضي الله تعالى عنه، مصّر الأمصار: المدينة والبصرة والكوفة والبحرين ومصر والشام والجزيرة».

[5] مناقب أمير المؤمنين (لابن الجوزيّ) 236.

والقضاة»[1].

حلقة الإقراء بجامع البصرة:

تعتبر من أوائل حلقات الإقراء التي تأسّست خارج شبه الجزيرة العربيّة، وذلك إبّان موجة الفتوحات الإسلاميّة، وكان مؤسِّسها الصحابيّ الجليل أبو موسى الأشعريّ الذي مات بالكوفة سنة 44هـ على الصحيح وهو آبنُ نَيِّفٍ وخمسين سنة. لمكانته التاريخيّة ومنزلته العلميّة ترجمت له كتب الأعلام والتراجم[2]، خاصّة معاجم الصحابة[3]، كما آهتمّت به كتب القرّاء وطبقاتهم لِمَا كان يتحلّى به من خصائِصَ وفضائِلَ تتعلّق بتلاوة القرآن وحسن أدائه؛ فقد عدّه الذهبيُّ (ت748هـ) من كبارِ القرّاء، وتبعه في ذلك ابنُ الجزريّ (ت833هـ)، فترجما له ترجمة.[4]

هو عبد الله بن قيس بن سُليم الأشعريّ اليمانيّ، من أوائل الذين أسلموا بمكّة ومن أهل السفينتَيْنِ ومن المهاجرين إلى المدينة، أحد عمّال النبيّ، ﷺ، وعلماء الصحابة وفقهائهم. هو معدود فيمن قرأ على النبيّ، ﷺ. كان صاحبَ قراءةٍ ومزمارٍ.

لقد آستعمله النبيُّ، ﷺ، مع معاذِ بنِ جبلٍ على زَبِيد وعَدَن باليمن وأمرهما أن يعلّما الناسَ القرآنَ.[5] فتح البلدان وولي الولايات. ولّاه الفاروق عمر بن الخطّاب (ت23هـ) إمرة البصرة

[1] مناقب أمير المؤمنين 119. يُقابَل الاستيعاب في معرفة الأصحاب (لابن عبد البرّ) 1406/3 «فَرَضَ الأعطية والأرزاق» [يعني الفاروقَ].

[2] مثل الطبقات الكبرى 344/2-345، سير أعلام النبلاء 380/2-402 (82)، من كتب التراجم المعاصرة: الأعلام (للزركليّ) 114/4.

[3] كمعرفة الصحابة (لأبي نعيم الأصبهانيّ) 216/3-222 (1734)، الاستيعاب 979/3-981 (1639) و 1762/4-1764 (3193)، أسد الغابة في معرفة الصحابة (لابن الأثير) 364/3-366 (3137) و 299/6-300 (6296)، الإصابة في تمييز الصحابة (لابن حجر العسقلانيّ) 181/4-183 (4916).

[4] معرفة القرّاء الكبار (للذهبيّ) 121/1 (6)، غاية النهاية (لابن الجزريّ) 442/1-443 (1851).

[5] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (لأبي نعيم الأصبهانيّ) 322/1 (853)، سير أعلام النبلاء 381/2.

سنة 17هـ[1]. أقرّه عليها عثمانُ بنُ عفّان (ت35هـ)، لَمّا ولي الخلافة، ثمّ عزله عنها، فآنتقل إلى الكوفة، فولّاه عليها نزولًا عند رغبة أهلها، فأقرّه عليها عليّ بن أبي طالب (ت41هـ)، ثمّ عزله، وبها مات. كان قد حكّمه على نفسه يوم التحكيم في شأن الخلافة لفضله وجلالته.

لقد تحدّث بنفسه عن مهمّته التنويريّة والإداريّة، حين ولّاه الفاروقُ إمرةَ البصرة، بقوله: «إنّ أميرَ المؤمنين عُمَرَ بعثني إليكم أعلّمكم كتابَ ربّكم، عزّ وجلّ، وسُنّةَ نبيّكم، ﷺ، وأنظّف لكم طُرَقَكُمْ»[2]. هذه الرواية تعكس سياسة الفاروق في تنظيم الأمصار الإسلاميّة؛ فبالتوازي مع التنظيم السياسيّ والإداريّ كانت له عناية خاصّة في تعليم الناسِ الكتابَ والسنّةَ، فخصّص لهذه الغاية المثلى نُخْبَةً من الصحابة؛ فكان نصيب البصرة أن بعثه إلى أهلها، فأقرأهم وفَقَّهَهُمْ في الدين[3]. لقد أحسن العجليّ (ت261هـ) عبارةً وتعبيرًا في ذكره الإمارة والتعليم الدينيّ (الإدارة الدينيّة) تِبَاعًا، حين قال: «بَعَثَهُ عُمَرُ أَمِيرًا، فَأَقْرَأَهُمْ وفَقَّهَهُمْ»[4].

رغم الأعداد الهائلة مِنَ الذين قرأوا عليه القرآن في إطار حلقة إقرائه، كما سيأتي ذكره، لا تعرف معاجم القرّاء إلّا بعض الأفراد منهم؛ فالذهبيّ (ت748هـ) لم يَزِدْ عن ذِكْرِ آثنين. قال: «قرأ عليه أبو رجاءٍ العُطَارِديُّ وحِطَّانُ بنُ عبدِ اللهِ الرَّقَاشِيُّ»[5]. أمّا ابن الجزريّ (ت833هـ)، فلم يكن إسهامُهُ هاهنا بوفيرٍ، إذ لم يَزِدْ عليهما إلّا واحدًا ثالثًا، هو أبو شَيْخٍ آلْهُنَائِيُّ[6] خَيْوَانُ بنُ خالِدٍ[7]. كلاهما معذور في ذلك لقلّة الموارد والروايات بهذا الخصوص.

---

[1] سير أعلام النبلاء (سير الخلفاء الراشدين) 119-120 (سنة سبع عشرة).

[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء 323/1 (855).

[3] أسد الغابة 182/4، سير أعلام النبلاء 381/2.

[4] سير أعلام النبلاء 383/2.

[5] معرفة القرّاء الكبار 122/1. كذلك سير أعلام النبلاء 381/2.

[6] غاية النهاية 442/1 (س19-20).

[7] كان ثقةً. له أحاديث. مات قبل الحسن البصريّ (ت110هـ). عُرِفَ بِحُسْنِ حِفْظِهِ للقرآن، فكان عُبيد الله بن زياد (ولي العراق 55-66هـ) يأمرُهُ أن يلقّنه في الصلاة، إذا آعتراهُ نسيانٌ. يُراجَع الطبقات الكبرى 155/7. عن هذا التلقين في الصلاة يُراجَع كذلك الطبقات الكبرى 286/3.

إنّ المعلومات عن حلقة الإقراء بالبصرة ليست بالموفورة، بل شحيحة، إذ لم أقف بصددها إلّا على ثلاثِ رواياتٍ فيما توافر عندي من مصادر، يرويها بعضُ مَنْ دَرَسَ القرآن الكريم من أوائل التابعين على يد الصحابيّ أبي موسى الأشعريّ (ت44هـ).

الرواية الأولى:

رَوَاهَا الثَّعْلَبِيّ (ت427هـ) في تفسيره بالإسناد التالي: «أَخْبَرَنَا عَبْدُ ٱللهِ بْنُ حَامِدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ ٱلْعَقَدِيُّ عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِي رَجَاءٍ ٱلْعُطَارِدِيّ، قَالَ: كَانَ أَبُو مُوسَى يُقْرِئُنَا القرآنَ في هذا ٱلْمَسْجِدِ، فنَقْعُدُ لَهُ حَلَقًا حَلَقًا، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ٱلآنَ في ثَوْبَين أَبْيَضَيْنِ، فَعَنْهُ أَخَذْتُ هذه السُّورَةَ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [سورة العلق 96]»[1].

تحليلها:

تمتاز براويها الذي يتحدّث فيها عن بعض ما عاينه وعايشه بنفسه من تجربة في تعلّم القرآن عند أبي موسى الأشعريّ وكان له بالغ الأثر عليه، هو التابعيّ عِمْرَانُ بنُ مِلْحَانَ البصريُّ (ت107/105هـ). كان أدرك زَمَانَ النبيﷺ، ولم يَرَهُ. وأسلم بعد الفتح وأتى عليه مئةٌ وعشرون سنةً أو أكثر من ذلك[2]. قال ٱبنُ سعدٍ (ت240هـ): «كان ثقةً في الحديث. وله روايةٌ وعِلْمٌ بالقرآن وأَمَّ قَوْمَه في مسجدِهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً»[3]. يمثّل أبو رجاء العُطَارِدِيّ وبعض التابعين الأوائل الذين أدركوا العهد النبويّ ولم يُسْلِمُوا فيه، كأبي العالية الرياحيّ (ت96/93/90هـ)[4]، مصدرًا تاريخيًّا فريدًا لفترة ما قبيل الإسلام وصدر الإسلام، وذلك لما

---

[1] الكشف والبيان 244/10.

[2] تهذيب الكمال (للمزّيّ) 22/356-360 (4505)، معرفة القرّاء الكبار 1/153-154 (20).

[3] الطبقات الكبرى 139/7.

[4] هو رُفَيْع بن مِهْران، من كبار التابعين، إمام مقرئ حافظ مفسّر. أدرك زمان النبيّ، ﷺ، وهو شابٌّ وأسلم في خلافة أبي بكرٍ ودخل عليه وصلّى خَلْفَ عمرَ. عنه سير أعلام النبلاء 4/207-213 (85)، معرفة القرّاء الكبار 1/155-157 (22)، غاية النهاية 1/284-285 (1272).

عاينوه وشاهدوه بأنفسهم من حوادث ووقائع أخبروا عنها ناهيكم عمّا حصّلوه من علم كثير في تلاوة القرآن وتفسيره والحديث والفقه، فكان يُشارُ إليهم بالبنان ويُرجَعُ إليهم وقت الحاجة والسؤال.

إنّ الفعل في جملة (يُقْرِئُنَا القرآنَ) فعل مضارع على وزن أَفْعَلَ، فيتعدّى إلى مفعولين. الأوّل ضمير الكناية (نا) والآخر (القرآنَ). وهو غير الفعل المجرّد (قَرَأَ) الذي يتعدّى إلى مفعول واحدٍ، نحو قرأتُ القرآنَ؛ فاسم الفاعل منه قَارِئٌ واسمُ المفعولِ مَقْرُوءٌ، والمصدرُ قراءةٌ، بينما آسمُ الفاعل مِنْ (أَقْرَأَ) مُقْرِئٌ واسمُ مفعولِهِ مُقْرَأٌ ومصدرُه إِقْرَاءٌ؛ فثمّة بون كبير بينهما في الدلالة، إذ كلّ من يَقْرَأُ القرآنَ، فهو قارئٌ، لكن ليس كلُّ قارئٍ مقرئًا، إذ الأخير صاحب أهليّة ودراية في تعليم القرآن وتدريسه، كالخرّيجين والخرّيجات المعدّين والمعدّات في دور المعلّمين والمعلّمات لمهنة التدريس في المدارس. من هنا جاء مصطلح (التأهيل) أو (الإعداد) أو (التكوين). وهذا بدوره ينطبق تمامًا على أبي موسى الأشعريّ، إذ كان صاحب ملكة وأهليّة في قراءة القرآنِ وإقرائه.

إنّ صيغة (كان يُقْرِئُنَا) تدلّ على أنّ إقراءَه لم يَكُنْ عرضيًّا أو في بعض الأحايين أو منوطًا بظرف أو متعلّقًا بحالٍ، بل على التواصل والمتابعة في التعليم، فهو أقرب إلى نظام الحصص المدرسيّة بمواعيدها المقرّرة وأوقاتها المعتمدة في البرنامج الأسبوعيّ.

قوله: (في هذا ٱلْمَسْجِدِ)، أَيْ في مسجد البصرة الذي عُرف لاحقًا بجامع البصرة الكبير. هذا يدلّ على ميزة مكان التدريس وخصوصيّته، إذ المساجد تتحلّى بأجواء من التشريف والتعظيم عند رُوّادها وبأجواء من الهدوء والسكينة والأدب في الكلام والتحدّث، فلا يجوز فيها على سبيل المثال الصراخ ولا رفع الأصوات وما شابه ذلك. كذلك يدلّ أنّ الجامع أو المسجد هو المؤسّسة التعليميّة الأولى والمحوريّة في المجتمع الإسلاميّ، مفتوحة أبوابه لكلّ الناس، لجميع أطياف المجتمع، دخوله غير محصور على فئة دون أخرى ولا على جيل دون آخر، من ذكر وأنثى، وصغير وكبير؛ فالمجال، كلّ المجال متاح لكّل من يرغب أن ينهل من العلوم الشرعيّة ويتنوّر ويتزوّد بها.

قوله: (فنَقْعُدُ لَهُ حَلَقًا حَلَقًا)، أَيْ مباشرة بعد أداء صلاة الفجر؛ فكان من نهجه، إذا صلّى

الصبح، آستقبل صُفُوفَ المصلّين للإقراء[1]، كما قال عبدُ الله بنُ شَوْذَب[2]. وهذا من أفضل الأوقات بركةً وأنسبها هدوءًا وسكينةً وطمأنينةً لتعلّم القرآن وتعليمه.

أمّا عبارته (حَلَقًا حَلَقًا)، فتدلّ على طريقة توزيع الحاضرين إلى حلقات. وهذا النمط من القعود المستدير يمتاز بأنّ كلّ مشارك يرى نفسه في وسط هذه الدائرة، بما فيهم المعلّم المقرئ، وهو نوع من التساوي والتكافؤ، وبالتالي تكون لكل حاضرٍ متابعةٌ لِمَا يجرى في الحلقة ومواصلةٌ مع الآخرين المشاركين، كأنّها مراقبة ذاتيّة وغيريّة في آن واحدٍ، ممّا يحفّز على المشاركة الفعّالة ويرفع من نسبة التركيز من جهة ويقلّل من الالتهاء الذاتيّ والانشغال بأمور خارجة عن محور الدرس من جهة أخرى، كما هو الحاصل في عصرنا في نظام الصفوف الموزّعة على طريق المواجهة أَسْرُبًا أسربًا.

كذلك تدلّ على التوزيع الكثيف لتكرار الجمع مرّتين، أي التوزيع إلى مجموعات كثيرة، ممّا يجعلها ذوات أعداد قليلة، قد تصل واحدتها إلى عشرة أفراد. وهذا الأمر في غاية الأهمّيّة، لأنّ كثرة المشاركين في المجموعة الواحدة، على سبيل المثال أربعون مشاركًا، تمنع من مشاركة كثيرين منهم في مجرى الدرس، فيُهمّشون، ممّا يخلق أجواءً غير لائقة في الصفّ، كالإزعاج الكثير والتشويش المستديم. أمّا المجموعة الصغيرة، فتتيح لكلّ فرد فيها فرصة كاملة من المشاركة الفعّالة والإدلاء بأصواتهم وأفكارهم، ممّا يشحذ ذهنهم ويقوّي تبصّرهم في التحصيل والتعليم. يُعمَل بها اليوم في كثير من المعاهد والمؤسّسات والجامعات المعاصرة تحت مُسَمَّى الحلقات الدراسيّة (سمنار).

قوله: (كَأَنّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ آلآنَ في ثَوْبَيْنِ أَبْيَضَيْنِ)، فيدلّ على ما تأثّر به إيجابًا وخلد في ذهنِهِ – بعد مضيِ وقتٍ على ما يصفه هنا - من مظاهر التواضع عند المعلِّم المقرِئ، وذلك في ملبسه، غير مثقلٍ بلباس زائفٍ للفت الأنظار والانتهاه، حتّى إنّ اللون الأبيض يُوحي بدوره

[1] سير أعلام النبلاء 389/2 [ترجمة أبي موسى الأشعريّ].

[2] هو أبو عبد الرحمن الخراسانيّ البلخيّ (86-144/156/157هـ). سكن البصرة ثمّ سكن بيت المقدس. عنه تهذيب الكمال 95-94/15 (3335)، تهذيب التهذيب 256-255/5 (447).

عند مُسْتَقْبِلِهِ نوعًا من النقاء والصفاء ولا يثير عند رائِيهِ إثارةً غير طبيعيّة بخلاف اللون الأحمر مثلًا، فهو بارز فاقع بقوّة، ممّا يلتف الأنظار مطوّلًا وبشكل غير طبيعيّ. إنّ ظهور المعلّم ومثوله أمام طلبته بمظهر التواضع لجزء أساسيّ في العمليّة التربويّة وتذويت قيمها السلوكيّة.

قوله: (فَعَنْهُ أَخَذْتُ هذِهِ السُّورَةَ)، فيدلّ على ما عَلِقَ في ذهنِهِ بقوّة، لا أنّه لَمْ يأخذ غيرها عنه، وذلك لخصوصيّة هذه السورة، سورة العلق، بفكرة القراءة وآرتباطها بنزول الوحي لأوّل مرّة. وقد تكون أوّلَ حصّةٍ ألقاها أبو موسى الأشعريّ في مسيرة تعليمه القرآن في مسجد البصرة، إذ كانت أوّلَ الوَحْيِ نزولًا بآيها الخمس الأولى التي تسلّط الضوء، كلّ الضوء على مبدأ القراءة الذي بنت عليه الأمّة الإسلاميّة مستقبلها وآرتكزت عليه حضارة الإسلام.

من الجدير ذكره هنا أنّ هذا النزول الأوّل كان له بالغ الأثر على طريقة تعلّم القرآن وتعليمه في حلقات الإقراء بالأمصار الإسلاميّة، إذ آعتُمِدُ نمطُ التخميس في تلقّي القرآن وتلقينه، لأنّ حصوله لم يكن مرّة واحدة أو من النادر، بل يشكّل ظاهرة متكرّرة في نزول الوحي[1]. قال السخاويّ (ت643هـ) بهذا الصدد عن نهج الصحابة، ﷺ: «كان يلقّنونه مَنْ يتعلّمه خمسًا خمسًا ويقولون: إنّ جبريل، عليه السلام، كذلك كان يلقّنه رسولَ الله، ﷺ»[2]. وكان أبو موسى الأشعريُّ أوّلَ صحابيّ أخذ بذلك في حلقات الإقراء بالبلدان الممصّرة والمفتوحة وطبّقه في مَقْرَئِهِ، مقرأ أهل البصرة بجامعها؛ فقد نصّ على ذلك تلميذه أبي رجاء العطارديّ بقوله: «كان أبو موسى يُعَلِّمُنَا القرآنَ خَمْسَ آياتٍ، خَمْسَ آياتٍ»[3]. وقد أخذ أوائلُ التابعين بهذه الطريقة وعملوا بها في حلقاتهم القرآنيّة، منهم أبو العالية الرياحيّ البصريّ (ت90/93/96هـ) وأبو عبد الرحمن السلميّ (ت73/74/75هـ)، مقرئ أهل الكوفة.[4] يجب

[1] بهذا الخصوص يُراجَع بَحْثِي: ظاهرة التخميس والتعشير في نزول القرآن وأثرها في طرائق التلقّي الأول 1/384-389 و 1/406-409.

[2] جمال القرّاء وكمال الإقراء 2/446.

[3] جمال القرّاء وكمال الإقراء 2/446.

[4] للمزيد عن ذلك يُراجَع ظاهرة التخميس والتعشير في نزول القرآن 1/413-415.

التنبيه عليه هنا أنّ أبا العالية الرياحيّ كان قد شارك في أعمال مشروع المصاحف الثاني الذي آنعقد بواسِط بين سنة 83-85هـ بمباردة والِي العراقَيْنِ وقتها الحجّاج بن يوسف الثقفيّ (ت95هـ) وبتبريكٍ وتأييدٍ من الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان (ت86هـ)، إذ كان أَحَدَ أَعْضَاءِ لَجْنَةِ المشروع التي أشرف عليها قرينُه الإمام الحسن البصريّ (ت110هـ).[1]وقد تبنَّى هذا المشروع ضمن جدول أعماله وأهدافه المرصودة فَصْلَ الآي بعضها عن بعض بوَضْعِ ثلاثِ نُقَطٍ على شَكْلِ مُثَلَّثٍ ونظامَ التخميسِ (الذي كان يحثُّ عليه الرياحيُّ) بوضع إشارة (هـ) نهاية كلّ خمسِ آياتٍ وكذلك نظامَ التعشيرِ بوضع إشارة (ع) نهاية كلّ عشرِ آياتٍ، وذلك للتسهيل والتيسير على الناس قراءة القرآن بالتداول والمتابعة؛[2]فالحاصل أنّ فكرة التخميس وكذا التعشير في المصاحف مبنيّة أصلًا على طرائق تعليم القرآن التي كان يُعْمَلُ بها في صدر الإسلام.[3]

الرواية الثانية:

يُسْعِفُنَا بها أَبُو نُعَيْمٍ الأَصْفَهَانِيُّ (ت430هـ) الذي قد ساقها في ترجمة أبي موسى الأشعريّ بإسنادِهِ التالي: «حدّثنا محمّدُ بنُ جعفرِ بنِ الهيثمِ: حدّثنا جعفرُ بنُ محمّدٍ الصايغُ: حدّثنا عفّانُ: حدّثنا وهيبٌ: حدّثنا داودُ بنُ أبي داودَ عَنْ أَبِي حَرْبِ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِيلِيِّ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَمَعَ أَبُو مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيُّ الْقُرَّاءَ، فَقَالَ: لَا تُدْخِلُوا عَلَيَّ إِلَّا مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ ! قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ زُهَاءَ ثَلَاثِمِائَةٍ؛ فَوَعَظَنَا وَقَالَ: أَنْتُمْ قُرَّاءُ أَهْلِ ٱلْبَلَدِ، فَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ ٱلْأَمَدُ ! فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ، كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ»[4].

---

[1] يُنظَر بَحْثِي: مشروع المصاحف الثاني في العصر الأمويّ 71-72.

[2] مشروع المصاحف الثاني في العصر الأمويّ 80-81 [الهدف الثالث: فصل الآي والتخميس والتعشير]. كذلك ظاهرة التخميس والتعشير في نزول القرآن 1/417-418.

[3] مشروع المصاحف الثاني في العصر الأمويّ 81.

[4] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء 1/323 (856).

تحليلها:

هي بصريّة الإسناد، راويها التابعيّ ظالم بن عمرو بن سفيان الكِنَانيّ (16ق.هـ-69هـ)، مشهور بأبي الأسود الدُّؤَلِيّ، من أعيان التابعين وكبار شعرائهم. وُلد قبل بعثة النبيّ، ﷺ، وأسلم في حياته، ﷺ، لكنّه لم يَرَهُ؛ فهو من المُخَضْرَمِينَ. سكن البصرة في خلافة عمر بن الخطّاب. ولّاه عليّ بن أبي طالب إمارتها في خلافته ولم يزل فيها إلى أن قُتِلَ عليٌّ. شهد معه وقعة صفّين والجمل ومحاربة الخوارج.[1]له ولدان: عطاء وأبو حربٍ؛ والأخير هو الراوي عن أَبِيهِ هذه الروايةَ التي تؤكّد تخرُّج الدؤليّ من هذا المقرأ. بذلك يكون قد أخذ القراءة عن أبي موسى الأشعريّ، كما أخذها عن عثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب[2]، ﷺ. نصّت المصادر على أنّ أبا حربٍ رَوَى القراءة عن أبيه، كما رواها عنه نصرُ بنُ عاصم الليثيّ ويحيى بنُ يَعْمَرَ العدوانيّ أيضًا[3].

تتحدّث هذه الرواية عن مقرأ البصرة التعليميّ الذي كان أبو موسى الأشعريّ هو المسؤول الأعلى عنه والمباشر فيه شؤون تعليم القرآن العظيم وتدريس أحكامه، فهو المشرف الإداريّ والمعلّم المقرئ للقرآن. قد التحق به أعداد كبيرة من الطلبة الذين آنتظموا في صفوفه التعليميّة حتَّى مرحلة التخرّج بإجازةٍ. وقد وصل عدد المُجَازُون فيه حدود ثلاثمائة مُجَازٍ؛ وهو عدد كبير، يدلّ دلالة قويّة على كثافة الحركة العلميّة في هذا المقرأ الذي هو على أقلّ تقديرٍ بمثابة كلّيّة شريعة بمصطلحنا المعاصر؛ فخرّيجوها هم القرّاء المصرّح بهم في الرواية وقد آجتازوا جميع المتطلّبات المستحقّة. ومن لَمْ يتمكّن من الوصول إلى هذه المرحلة، لَمْ تُوَجَّهْ إليهم دعوةُ التخرّج التي ألقى فيها أبو موسى الأشعريّ كلمةً توجيهيّة للخرّيجين الذين يقفون على عتبة الانتقال من عالم النظريّة إلى عالم التطبيق، أي الجمع بين النظريّة

[1] عنه سير أعلام النبلاء 81/4-86 (28)، معرفة القرّاء الكبار 154/1-155 (21)، غاية النهاية 345/1-346 (1493)، الأعلام 236/3-237.

[2] منصوص على الأخيرين فقط في سير أعلام النبلاء 81/4 وغاية النهاية 346/1 (س4). أمّا في معرفة القرّاء الكبار، فهناك 154/1 «قرأ القرآن على عليّ».

[3] سير أعلام النبلاء 81/4، معرفة القرّاء الكبار 154/1، غاية النهاية 346/1 (س5).

المشحونة والتنفيذ الفعليّ لما هو راجع بالنفع والجدوى على الناس؛ وهذا هو مفاد العلوم الشرعيّة والدنيويّة بالمنظور الإسلاميّ.

يمكن تلخيص فحاوي هذه الرواية بلغة العصر من باب التقريب فيما يلي: هذا المقرأ عبارة عن كلّيّة شريعة، وقف على إشرافه عميدٌ ذو دراية وإحاطة وعلى التدريس فيه أستاذ ذو علم ومعرفة، صاحب كرسيّ القرآن، هما في هذه الحالة ممثَّلان بشخصيّة واحدة، هو أبو موسى الأشعريّ. لهذه الكلّيّة نظام معتمد من برنامج تعليميّ وواجبات وآلتزامات، كمرحلة الإجازة (البكالوريس). من يجتاز جميع متطلّباتها، يُمنَح إجازةً (شهادة البكالوريس المأخوذ من العربيّة [بإجازة])، تؤهّله العمل بما حصّله من علوم ونقلها إلى حيّز التحقيق والتنفيذ على أرض الواقع. أمّا الموعظة التي ألقاها أبو موسى الأشعريّ، فهي حفل التخرّج بمصطلحنا، حيث سلّط الضوء فيها على حجم المسؤوليّة الموكول بها الخريجّون بعد تخرّجهم؛ فهم الآن حَمَلَةُ الرسالة في بلدانهم ومناطقهم، عليهم نقلها على أحسن وجه وأتمّ صورة من أجل نشر العلم وتعميم فوائده ومنافعه للناس، ثمّ نبّههم وحذّرهم من طول الأَمَدِ المتمثّل بالانشغال والاشتغال بالمادّيّات والسعي وراءَها، أَيْ حبّ الدنيا، فتكون النتيجة قسوة قلوبهم التي تميل بهم غاية الميل إلى التعلّق بالدنيا ومتاعها والخلود إلى الأرض.

الرواية الثالثة:

يُسْعِفُنَا بها ٱلآجُرِيُّ (ت360هـ) بإسنادِهِ الموصولِ إلى «أَبِي كِنَانَةَ أَنَّ أَبَا مُوسَى ٱلأَشْعَرِيَّ جَمَعَ الَّذِينَ قَرَأوا ٱلْقُرْآنَ، وهُمْ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ، فَعَظَّمَ ٱلْقُرْآنَ وَقَالَ: إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ كَائِنٌ لَكُمْ ذِخْرًا وَكَائِنٌ عَلَيْكُمْ وِزْرًا؛ فَٱتَّبِعُوا ٱلْقُرْآنَ وَلَا يَتْبَعَنَّكُم ! فَإِنَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْقُرْآنَ هَبَطَ بِهِ عَلَى رِيَاضِ ٱلْجَنَّةِ؛ وَمَنْ تَبِعَهُ ٱلْقُرْآنُ، زُجَّ بِهِ في قَفَاهُ، فَقَذَفَهُ فِي ٱلنَّارِ»[1].

[1] أخلاق حملة القرآن (للآجُرّيّ) 20 (3). كذلك حلية الأولياء وطبقات الأصفياء 323/1 (857).

تحليلها:

الراوي هنا أبو كنانة القُرَشِيُّ[1]، أحد تلامذة أبي موسى الأشعريّ الذين التحقوا بهذا المقرأ، يؤكّد لنا ما أَدْلَى به أبو الأسود الدُّؤَليّ (ت69هـ) من معلومات بهذا الصدد، فهو يصف لنا المشهد ذاته الذي وصفه الدؤليّ، ممّا يعني أنّه كان ممّن آجتازوا هذه المرحلة التعليميّة بإجازةٍ، فكان من المدعوّين إلى حفلة التخرّج ومن الحاضرين فيها، فسمع مِثْلَ غَيْرِه مِنَ الحضورِ الكلمةَ التي ألقاها الأشعريّ بهذه المناسبة ورسخ في ذهنه منها ما رَوَاهُ في هذه الرواية؛ فالكلام هنا عن الخطاب ذاته الذي ألقاه أبو موسى الأشعريّ، لكنّ كلَّ مستمعٍ ومُنْصِتٍ له ساعتَهَا قد جذبه فيه مقاطِعُ، كان لها بالغ الأثر على نفسه؛ فما رواه أبو كنانة من هذا الخطاب يسلّط الضوء كذلك على معادلة الجمع بين العلم والعمل معًا، أي بين النظريّة والتطبيق؛ فمَنَ أَخَذَ بهذه المعادلة، كان القرآنُ حجّةً له وفاز فوزًا عظيمًا بدخولِهِ الجنّةَ، ومَنْ لَمْ يَعْمَلْ بها، كان القرآنُ حجّةً عليه وأَدْخَلَهُ النَّارَ.

إنّ كلام أبي موسى الأشعريّ هنا في هذه الرواية يبيّن محوريّة القرآن العظيم وعموديّته في كيفيّة التعاطي مع الأمور والشؤون الحياتيّة وتَبِعَاتها الأُخْرَوِيّة، وذلك على وجهين: الترغيب في الفوز والسعادة في الآخرة من جهة والترهيب من الخسران والشقاوة في الآخرة من جهة أخرى. هذا التوجيه والإرشاد قد يكون لقي آذانًا صاغية وقلوبًا واعية عند بعض دون بعض، إذ القرّاء الخرّيجون قد يتفاوتون في تحمُّلِ رسالتهم القرآنيّة وكيفيّة التعامل معها. خيرُ وصفٍ لهذا التباين ما قاله الحسنُ البصريُّ (110-21هـ) واصفًا أحوال قرّاء عصره الذي هو بطبيعة الحالِ آمتدادٌ لعصر أبي موسى الأشعريّ: «قُرَّاءُ القرآنِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ؛ فَصِنْفٌ آتَّخَذُوهُ بِضَاعَةً يَأْكُلُونَ به؛ وصِنْفٌ أَقَامُوا حُرُوفَهُ وضَيَّعُوا حُدُودَهُ، وآسْتَطَالُوا به على أَهْلِ بِلَادِهِمْ، وآسْتَدَرُّوا بِهِ الوُلَاةَ، كَثِيرٌ هذا الضَّرْبُ مِنْ حَمَلَةِ القرآنِ، لا كَثَّرَهُمُ اللهُ؛ وصِنْفٌ عَمَدُوا إلى دَوَاءِ القرآنِ، فوَضَعُوهُ على دَاءِ قُلُوبِهِمْ، وآسْتَشْعَرُوا الخَوْفَ وآرْتَدَوا الحُزْنَ، فأولئك الذين يَسْقِي اللهُ بِهِمُ

[1] عنه كتاب التاريخ الكبير 376/8 (13577)، الجرح والتعديل (لابن أبي حاتم) 471/9 (17790)، تهذيب الكمال 227/34-229 (7589).

الغَيْثَ، ويَنْصُرُ بِهِمُ الأَعْدَاءَ. وَاللهِ لَهذا الضَّرْبُ مِنَ حَمَلَةِ القرآنِ أَعَزُّ مِنَ الكِبْرِيتِ الأَحْمَرِ»[1].

تجدر الإشارة هنا أنّ الحسن البصريّ الذي كان أحد قرّاء زمانه قد تخرّج من المقرأ البصريّ بواسطةٍ؛ فقد تعلّم القرآن بالدرجة الأُولى عند تابعَيْنِ اثْنَيْنِ، هما من تلامذة الأشعريّ وخرّيجي حلقته. الأوّل هو التابعيّ حِطَّان بن عبد الله الرَّقَاشيّ البَصْريّ (ت بين 80-70هـ)، من الأثبات. رَوَى له الجماعةُ سِوَى البخاري[2]. جاء في ترجمة الذهبيّ للرَّقَاشيّ: «قرأ القرآن على أبي موسى الأشعريّ. قرأ عليه الحسنُ البصريّ وغيرُه»[3] . مثله في ترجمة الذهبيّ للحسن البصريّ: «الحسنُ بنُ أبي الحسنِ، أبو سعيدٍ البصريُّ، سَيِّدُ أَهْلِ زَمَانِهِ عِلْمًا وعَمَلًا. قرأ القرآنَ على حِطَّانَ الرَّقاشِيّ عَنْ أَبِي مُوسَى»[4].

الثاني هو عامر بن عبد قيس العَنْبَرِيُّ البصريّ، من سادات التابعين.[5] يُوقِفُنَا أبو عُبيدٍ (ت224هـ) على روايةٍ فريدةٍ ونفيسةٍ عن أدائِهِ مُقْرِئًا في جامع البصرة الكبير فيما يلي: «حدّثنا عَبَّادُ بْنُ عَبَّادٍ، قال: حدّثنا يونسُ بنُ عُبيدٍ عَنِ الحسنِ، قال: كان عامِرُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ يُصَلِّي الصُّبْحَ في المسجدِ، يقوم في ناحيةٍ منه، فيقول: مَنْ أُقْرِئ ؟ فيأتيه ناسٌ، فيُقْرِئُهُمُ القرآنَ حَتَّى تطلعَ الشمسُ وتمكن الصلاة، فيقوم، فيصلّي حَتَّى يُصَلِّيَ الظُّهْرَ، ثمّ يصلّي حَتَّى يصلّيَ العَصْرَ، ثمّ يقوم إلى مَجْلِسِهِ مِنَ المسجد، فيقول: مَنْ أُقْرِئُ ؟ فيأتيه ناسٌ، فيُقْرِئهم القرآن حتّى يقوم لصلاة المغرب، ثمّ يصلّي العشاء، ثمّ ينصرفُ إلى منزلِهِ، فيأخذ أَحَدَ رغيفَيْهِ مِنْ سَلَّتِهِ، فيأكله ويشرب عليه، ثمّ يضع رأسه، فينام نَوْمَةً خَفِيفَةً، ثمّ يَقُومُ لِصَلَاتِهِ؛ فإذا كان مِنَ السَّحَرِ، أَخَذَ رَغِيفَهُ الآخَرَ، فأَكَلَ وشَرِبَ، ثمّ خَرَجَ إلى المسجد»[6].

---

[1] جمال القرّاء وكمال الإقراء 106/1.

[2] تهذيب الكمال 561/6-562 (1384).

[3] معرفة القرّاء الكبار 136/1.

[4] معرفة القرّاء الكبار 168/1 (27).

[5] عنه تهذيب الكمال 64/14-65 (3053)، غاية النهاية 350/1 (1502).

[6] فضائل القرآن 227 (12-57). كذلك سير أعلام النبلاء 15/4-16، غاية النهاية 350/1 (س13-17).

يُستفادُ من هذه الرواية أمورٌ، كما يلي:

- مهمّته: يدلّ قوله: «مَنْ أُقْرِئ» على أنّه كان مقرئًا. وهذه مهمّته التي أوكلها بها الخليفة الراشد عثمان بن عفّان (ت35هـ)، حين أرسل إلى الأمصار بنسخ موحّدة من القرآن الكريم، فبعثه مع المصحف البصريّ. قال أبو عليّ الأهوازيّ (ت446هـ)، شيخ القرّاء في عصره، بصدد المصاحف العثمانيّة ومَنْ بُعِثُوا مَعَهَا مِنَ القُرَّاءِ: «أَمَرَ عثمانُ، رضي الله عنه، زَيْدَ بنَ ثابِتٍ أَنْ يُقْرِئَ بالمدنيِّ وبَعَثَ عَبْدَ اللهِ بنَ السَّائِبِ مَعَ المكّيِّ والمُغِيرَةَ بنَ شِهَابٍ مع الشَّاميِّ وأبا عَبْدِ الرحمنِ السُّلَمِيَّ مَعَ الكُوفِيِّ وعامِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ مَعَ البَصْرِيِّ»[1]. إنّ ما نصّ عليه الأهوازيّ هنا لفي غاية الأهمّيّة، إذ ما قام به الخليفة عثمان بن عفّان (ت35هـ) هو آمتداد لسياسة الفاروق التعليميّة (الإدارة الدينيّة) وتدعيم لحضورها وترسيخ لمعالمها، فجعل الأمصار الإسلاميّة ترجع إلى نسخة قرآن موحّدة في حلقات الإقراء المنعقدة في المقارئ التعليميّة في جوامعها الكبرى وألغى بذلك تمامًا متابعة الاعتماد والتعويل على مصاحف خاصّة كان يمتلكها عدد من الصحابة، أمثال أبي موسى الأشعريّ وعبد الله بن مسعود.
- فئة المتعلّمين: يُستفاد أيضًا من عموم قوله: «مَنْ أُقْرِئ» وتلبية الناس له أنّه كان يُقْرِئُ الناسَ عمومًا دون قصرٍ على فئة دون غيرها. يعضد ذلك ما قاله أبو عُبيدٍ في كتاب القراءات له: كان عامر بن عبد الله الذي يُعرَف بآبنِ عَبْدِ قَيْسٍ يُقْرِئُ النَّاسَ.[2]
- مكان تعليم القرآن: ورد في النصّ لفظ (المسجد) ثلاث مرّات، والمقصود به جامع البصرة الكبير، حيث زاول في ناحية منه وظيفة الإقراء بصفة رسميّة، وله فيه مجلس، كما ورد في النصّ، أَيْ مجلس الإقراء.
- أوقات تعليم القرآن: يتّضح من النصّ أنّه كان يعلّم القرآن في وَقْتَيْنِ: مباشرة بعد صلاة

[1] جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة القصائد (للجَعْبَرِيّ) 374.

[2] نقلًا من سير أعلام النبلاء 15/4.

الفجر إلى طلوع الشمس، وبعد صلاة العصر إلى دخول وقت المغرب.

- أحواله وطباعه: ما رواه الحسن البصريّ من سلوكه في الطعام والشراب والنوم الخفيف وتهجُّده في الليل إلى السحر – وهو يراه سلوكًا نموذجيًّا قد تبنّاه بدوره من شيخه لنفسه أيضًا - يؤكّد ما عُرِفَ عن عامرٍ من التقشُّف والتزهُّد والتنسُّك. ولم يَعْدُ العِجْلِيُّ (ت261هـ) ذلك، حين قال بحقّه: «بصريّ، تابعيّ، ثقة، من كبارِ التابعين وعُبَّادِهم»[1].

كما تقدّم ذكره، قام أبو موسى الأشعريّ بدَوْرٍ فَعَّالٍ وبَنَّاءٍ في تأسيس مقرأ أهل البصرة وتطويره، وقد نجح في ذلك غاية النجاح - كما رأينا - رغم آشتغاله وآنشغاله بأمور إداريّة وعسكريّة، جعلت حضوره بالبصرة على الدوام أمرًا غير ميسورٍ، فبعث الفاروق لأجل ذلك مساندة إضافيّة إلى أهل البصرة؛ فكان نصيبُهم صَحَابِيَّيْنِ آثنينِ من مجمل الصحابة العشرة الذين بعثهم الفاروق (ت23هـ) إلى الأمصار الجديدة والمفتوحة.

أحدهما عمران بن حُصين الخزاعيّ (ت52هـ)[2]: أسلم قديمًا هو وأبوه وأخته وغزا مع رسول الله، ﷺ، ولَمْ يَزَلْ في بلادِ قومِهِ وينزل إلى المدينة كثيرًا إلى أَنْ قُبِضَ النبيّ، ﷺ. ومُصّرتِ البصرةُ، فتحوّل إليها، فنزلها إلى أنْ مات بها[3]. كان الفاروق بعثه إلى أهل البصرة ليفقّههم، كما روى ابن سعد (ت230هـ) بإسنادِهِ عن أبي الأسود الدؤليّ قوله: «قَدِمْتُ البصرةَ وبها عمران بن الحصين أبو النجيد. وكان عمر بن الخطّاب بعثه يفقّه أهل البصرة»[4]؛ فكانت له حلقة علم في مسجد البصرة الكبير، قام عليها دهرًا إلى أن شاخ، كما يفهم من كلام التابعيّ هلالِ بنِ يَسَاف الأشجعيّ الكوفيّ[5]: «قَدِمْتُ البصرةَ، فدخلتُ المسجدَ، فإذا أنا بشيخٍ أبيض الرأسِ واللحيةِ، مُستندٍ إلى أسطوانة في حَلْقةٍ يُحدّثهم. قال: فسألتُ: مَنْ هذا ؟ فقالوا: عمرانُ بنُ

[1] تاريخ الثقات (للعِجْليّ) 245 (755). كذلك سير أعلام النبلاء 15/4.

[2] عنه الطبقات الكبرى 12-9/7، سير أعلام النبلاء 512-509/2 (105).

[3] الطبقات الكبرى 9/7.

[4] الطبقات الكبرى 9/7. نظيره سير أعلام النبلاء 508/2.

[5] عنه تهذيب الكمال 355-353/30 (6634).

الحُصين»[1]؛ فكان الحسنُ البصريُّ (ت110ه) يَحْلِفُ أنّه ما قدم على أهل البصرة خيرٌ لهم منه[2].

الآخر هو عبد الله بن مُغَفَّلٍ (ت60ه)[3]: كان من البَكَّائين الذين الذين أنزل الله، عزّ وجلّ، فيهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ [92:9].[4]وكان ممّن بايع النبيّ، ﷺ، تحت الشجرةِ يوم الحديبية. ولم يزل بالمدينة المنوّرة ثمّ تحوّل إلى البصرة، فنزلها وآبتنى بها دارًا قُرْبَ الجامع[5]حتَّى مات بها.[6]أمّا بعثه إلى أهل البصرة غرض تعليمهم، فنصّ عليه الواقديّ بقوله: «كان أَحَدَ النفر الذين بعثهم عمرُ بنُ الخطّاب إلى أهل البصرة يفقّهونهم»[7]. يُنسَبُ هذا القول إلى الحسن البصريّ (ت110ه) الذي يحدّد فيه عدد النفر المبعوثين بالعشرة. «قال الحسن البصريّ: كان عبدُ اللهِ بنُ مُغَفَّلٍ أَحَدَ العَشْرَة الذين بعثهم إلينا عمرُ بنُ الخطّاب يفقّهون الناس»[8]. يجب التنبيه هنا أنّه قد يُفْهَمُ من ذلك أنّ العشرة قد بعثهم الفاروق إلى البصرة وحدها. وهذا ليس بالمقصود، بل بعثهم إلى مختلف الأمصار الإسلاميّة، من جملتها البصرة، وذلك ضمن سياسته التعليميّة العامّة فيها.

حلقة الإقراء بجامع الكوفة:

[1] الطبقات الكبرى 10/7-11.

[2] سير أعلام النبلاء 508/2.

[3] الطبقات الكبرى 13/7-14، أسد الغابة 395/3-396 (3202)، سير أعلام النبلاء 483/2-485 (99)، تهذيب التهذيب 42/6 (74).

[4] كتاب المعرفة والتاريخ (للفسويّ) 256/1، أسد الغابة 395/3.

[5] أسد الغابة 395/3. كذلك الطبقات الكبرى 14/7 [عن الواقديّ].

[6] الطبقات الكبرى 13/7.

[7] الطبقات الكبرى 14/7.

[8] سير أعلام النبلاء 484/2. مثله تهذيب التهذيب 42/6 «قال الحسن البصريّ: كان أَحَدَ العَشْرَة الذين بعثهم إلينا عمرُ يفقّهون الناس». دون عزوٍ أسد الغابة 395/3 «كان أَحَدَ العَشْرَة الذين بعثهم عمرُ إلى البصرة يفقّهون الناس».

كذلك نقف هنا أمام إشكاليّة شحّ المعلومات، فلا نعرف عن حلقة الإقراء بمسجدها إلّا بعض الأخبار. رَوَى ٱبْنُ سَعْدٍ (ت230هـ) بإسناده عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ، قَالَ: «كَتَبَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ إِلَى أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ. قَالَ وَكِيعٌ فِي حَدِيثِهِ: فَقُرِئَ عَلَيْنَا كِتَابُ عُمَرَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ أَمِيرًا وَٱبْنَ مَسْعُودٍ – قَالَ وَكِيعٌ – مُعَلِّمًا وَوَزِيرًا – وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ وَقَبِيصَةُ: مُؤَدِّبًا وَوَزِيرًا. وهما من النُّجَبَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، ﷺ، مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؛ فَٱقْتَدُوا بِهِمَا وَٱسْمَعُوا مِنْ قَوْلِهِمَا ! وَقَدْ آثَرْتُكُمْ عَبْدَ ٱللهِ عَلَى نَفْسِي»[1].

تحليل هذا الخبر: واضح فيه عناية الخلافة الراشدة ورعايتها للشؤون الإداريّة والتعليميّة في آنٍ واحدٍ وبالموازاة، فالإداريّة معبَّر عنها بلفظ (أميرًا) أو (وزيرًا)، والتعليميّة معبَّر عنها بلفظ (معلِّمًا) أو (مؤدبًا). فالخلافة الراشدة والحكومة الرشيدة تؤطّر لمؤسساتها ودوائرها بما يخدم مصالح العباد وتدعمها بالدعم المطلوب وتحرص غاية الحرص على ٱختيار أصحاب الكفاءات والخبرات لهذه المهمّات. وهذا ما قام به الفاروق من أجل أن ينهض بهذا المصر الجديد.

يُلاحَظُ أنّ مصطلح (معلّم) قد رادَفَهُ في غير روايةِ وكيعٍ مصطلحُ (مؤدّب)؛ وهذا ليس صُدْفَةً في الاستعمال، بل الرابط بينهما متينٌ، إذِ المقصدُ الأَسْمَى من التعليم هو التربيّة، أي التربية القويمة التي تنهض بالمجتمع سلوكًا ومنهجًا وأخلاقًا. لذا تُسمَّى الجهة الحكوميّة المسؤولة عن ذلك في كثير من الدول المعاصرة بوزارة التعليم والتربيّة.

كان هذا الكتاب خطابًا رسميًّا للعامّة للإعلان عنه والإشهار بمضمونه، لكنّ الفاروق وجّه في الوقت ذاته خطابًا خاصًّا لعبد الله بن مسعود (ت32هـ)[2]، جاء فيه: «إنّي وَجَّهْتُكَ مُعَلِّمًا. لَيْسَ لَكَ سَوْطٌ وَلَا عَصًا؛ فَٱقْتَصِرْ عَلَى كِتَابِ ٱللهِ ! فَإِنَّهُ كَفَاكَ وَإِيَّاهُمْ. وَلَا تَقْبَلِ الهديّةَ!

[1] الطبقات الكبرى 8/6. كذلك الطبقات الكبرى 7/6 [روايتان عن حارثة بن مضرّب]، معرفة الصحابة 234/3 (4506)، سير أعلام النبلاء 486/1.

[2] أبو عبد الرحمن الهذليّ المكّيّ. عنه الطبقات الكبرى 13/6-14، معرفة الصحابة 229/3-237 (1749)، سير أعلام النبلاء 461/1-500 (87)، معرفة القرّاء الكبار 113/1-118 (4)، غاية النهاية 458/1-459 (1914).

وليست بحرامٍ، ولكنّي أخافُ عليك القَالَةَ»[1]. هذا الخطاب الخاصّ من الأهمّيّة بمكان، إذ فيه نهي بصريح العبارة عن ٱستعمال الضرب (سَوْطًا) في المسيرة التعليميّة وعن ٱستخدام أساليب التخويف والترهيب (عَصًا) فيها. مثل هذه الطرائق التعليميّة السلبيّة التي تحذّر منها المذاهب التربويّة المعاصرة قد نهى الفاروقُ عنها نهيًا قاطعًا ومنع من اللجوء إليها بأيّ حال من الأحوال وأخرجها مطلقًا من منهاج التربية والتعليم، وذلك قبل ألفٍ وأربع مائة سنةٍ. كذلك أشار الفاروق إلى مسألة بالغة الأهمّيّة، هي كون القرآن أساسًا لا غِنًى عنه وكافيًا عن سواه، فهو مصدر مصادر العلوم على ٱختلافها وينبوع ينابيع المعرفة على تنوُّعها، فيجب أن يكون تعلّمه وتعليمه منار المسيرة التنويريّة وصرحها الذي تتحصّن به وتتغذّى منه، كالرضاعة، إذ الحليب يغني الرضيع عن سواه من الأطعمة والأغذية والأشربة لمرحلة تَصِلُ إلى عامين، تشكّل الأساس الأوّل واللبنة الأولى والركن الشديد في بناء شخصه وشخصيّته.[2] بهذا التوجيه وهذا التشريف أَسَّسَ ٱبْنُ مسعودٍ (ت32هـ) حلقةَ الإقراءِ بجامع الكوفة ونمّاها بعناية متفانية ورعاية خالصة. كان مُهاجَرُهُ بحمص، فحدره الفاروقُ إلى الكوفة وكتب إليهم بهذا الصدد[3]، كما تقدّم ذكره، فقدم الكوفة ونزلها وٱبتنى بها دارًا إلى جانب المسجد، ثمّ وفد من الكوفة إلى المدينة في خلافة عثمان بن عفّان (حكم 23-35هـ)، فمات بها آخِرَ سنة ٱثنتين وثلاثين ودُفِنَ بالبقيع وهو ٱبنُ بضعٍ وستّين سنة.

كان أحد السابقين والبدريّين والعلماء الكبار من الصحابة. قد أسلم قبل الفاروق. عرض القرآن على النبيّ، ﷺ. عرض عليه خلقٌ، أبرزهم أصحابه. كان أوّلَ مَنْ أَفْشَى القرآن مِنْ فِي النبيّ، ﷺ. كان يحفظ مِنْ فِيهِ، ﷺ، بضعةً وسبعين سورةً. كان موصوفًا بالذكاء والفطنة. كان يخدم النبيّ، ﷺ، ويلزمه. كان إمامًا في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله مع حُسْنِ

[1] أخبار القضاة (لوكيع) 188/2.

[2] لقد أدرك روّاد الاستعمار الحديث منذ ٱجتياحهم لبلاد الإسلام كُنْهَ هذه الحقيقة (تمسُّك المسلمين بكتابهم)، فَسَعَوْا جاهدين مع نجاح كبير إلى فكّ هذه العروة الوثقى بإنشاء المدارس (البديلة) الحديثة التي همّشت في مناهجها القرآن بعد تصدُّرِه وحجّبته إلى حدّ التجاهل المطلق.

[3] الطبقات الكبرى 8/6.

الصَّوْتِ حتَّى قال، ﷺ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ ٱلْقُرْآنَ غَضًّا، كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْ قِرَاءَةَ ٱبْنِ أُمِّ عَبْدٍ!).

طريقة تعليمه القرآن:

كان له درسان. الأوّل مقصور على إقرائِهِ القرآنَ في جامع الكوفة، ثمّ يعمل أصحابُه بعد ذلك على تعليمِ الناسِ قراءتَهَ غَرَضَ ضَبْطِها وتحفيظِها لهم؛ فقد جاء عن مَسْرُوقِ بنِ الأَجْدَعِ (ت63هـ)[1]قوله: «كانَ عَبْدُ ٱللهِ يُقْرِئُنَا ٱلْقُرْآنَ في ٱلْمَسْجِدِ ثُمَّ نَجْلِسُ بَعْدَهُ نُثَبِّتُ ٱلنَّاسَ»[2]. لا يعني مسروق بذلك جميعَ أصحابِ ٱبنِ مسعودٍ، فهُمْ كثيرٌ[3]، لكنّه يقصد أولئك الذين تصدّروا للإقراء والتعليم والإفتاء، وهم ستّة، هو أحدهم؛ فقد روى أبو عبيد (ت224هـ) بإسناده عن إبراهيمَ بنِ يَزِيدَ النَّخَعِيّ (46-96هـ)[4]، قال: «كانَ ٱلَّذِينَ يُقْرِئُونَ النَّاسَ القُرْآنَ وَيُعَلِّمُونَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ ٱللهِ سِتَّة: عَلْقَمَةُ والأسودُ ومسروق وعَبِيدَةُ وعمرُو بنُ شُرَحْبِيلَ والحارِثُ بنُ قَيْسٍ»[5]. نظيره ما رواه ٱبنُ سَعْدٍ (ت230هـ) بإسناده عنه: «كَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ ٱللهِ الَّذِينَ يُقْرِئُونَ وَيُفْتُونَ سِتَّةً: عَلْقَمَةُ وَالْأَسْوَدُ وَمَسْرُوقٌ وَعَبِيدَةُ وَٱلْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ وَعَمْرُو بْنُ شُرَحْبِيلَ»[6]؛ فكان كلُّ واحدٍ من هؤلاء الستّة يعقد مجلسًا للأغراض المنصوص عليها.

---

[1] عنه غاية النهاية 294/2 (3591)، الأعلام 215/7.

[2] كتاب السبعة في القراءات 67، غاية النهاية 459/1 (س17-18) [اللفظ له].

[3] جاء في الطبقات الكبرى 10/6: «عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيّ، قَالَ: كَانَ فِينَا سِتُّونَ شَيْخًا مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللهِ». مثله كتاب المعرفة والتاريخ 576/2. صرّح ٱبن الجزريّ (ت883هـ) بأسماء ثلاثة عشر ممّن عرضوا عليه القرآنَ في ترجمته له في غاية النهاية 458/1 (س11-14): «الأسود وتميم بن حذلم والحارث بن قيس وزِرّ بن حُبيشٍ وعبيد بن قيسٍ وعبيد بن نضلة وعلقمة وعبيدة السلمانيّ وعمرو بن شرحبيل وأبو عبد الرحمن السلميّ وأبو عمرو الشيبانيّ وزيد بن وهب ومسروق».

[4] عنه الأعلام 80/1.

[5] فضائل القرآن 226 (11-57). نظيره غاية النهاية 294/2 (س13-15).

[6] الطبقات الكبرى 10/6. كذلك تاريخ الثقات 68 (100)، كتاب المعرفة والتاريخ 553/2، كتاب السبعة في القراءات 66-67.

الدرس الثاني متمّم للأوّل، وهو قراءتُهُ القرآنَ مع أصحابِهِ مشفوعًا بالتفسير. رُوي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (ت83ه)[1] أنّ آبنَ مسعودٍ كان إذا آجتمع إخوانُهُ، نشروا المصحفَ، فقرؤوا وفسّر لهم.[2]تفسيره هذا هو من باب بيان مقاصد القرآن وأحكامه غرض العمل والأخذ بها في مرافق الحياة؛ فهو القائل: «كنّا نتعلّم من النبيّ، ﷺ، عَشْرَ آياتٍ؛ فما نتعلّمُ العشرَ التي بعدهنّ حتّى نتعلّمَ ما أَنْزَلَ اللهُ في هذهِ العشرِ مِنَ العَمَلِ»[3].

لقد أحسن آبنُ مسعودٍ تعليمَ أصحاب مدرسته القرآنيّة التي لم يكن لها منافس يجاريها بالكوفة وحصّنهم بالعلم ورسّخ فيهم القيم الرفيعة والأخلاق الحميدة منهجًا وسلوكًا في التعامل، ليكونوا قدوةً حسنةً لغيرهم، كما كان هو لهم. قال الإمام سعيدُ بنُ جُبيرٍ (ت95ه) فيهم: «كان أصحابُ عبد اللهِ شيوخَ هذهِ الأُمَّةِ»[4]. وقال الفقيه عامر آلشَّعْبِيُّ (ت103ه) بحقّهم: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَعْظَمَ حِلْمًا وَلَا أَكْثَرَ عِلْمًا وَلَا أَكَفَّ عَنِ السمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ، ﷺ»[5]. لا عجب بعد هذا العطاء أن يكون منتهى قراءة أهل الكوفة يرجع إلى آبنِ مسعودٍ[6]، إذ تنتهي إليه قراءةُ ثلاثةِ أئمّةٍ من القرّاءِ السبعةِ (عاصم وحمزة والكسائيّ) وقراءةُ خلفٍ، أحد العشرة[7].

خَلَفَهُ بعد وفاتِهِ على حلقة الإقراء الكوفيّة أصحابُهُ الستّة المتقدّم ذكرهم وغيرُهم[8]، وهو

---

[1] أبو عيسى الأنصاريّ الكوفيّ، من كبار التابعين. عنه غاية النهاية 376/1-377 (1602).

[2] غاية النهاية 459/1 (س16-17).

[3] غاية النهاية 459/1 (س9-11).

[4] الطبقات الكبرى 11/6-12.

[5] الطبقات الكبرى 11/6-12.

[6] يُقابَل كتاب السبعة في القراءات 66 «أمّا أهلُ الكوفةِ، فكان الغالبُ على المتقدّمين من أهلِها قراءة عبد الله بن مسعودٍ، رضي الله تعالى عنه، لأنّه الذي بَعَثَ به إليهم عمر بن الخطّاب، رضي الله تعالى عنه، ليعلّمهم، فأُخِذَتْ عنه قراءتُهُ».

[7] غاية النهاية 459/1 (س21).

[8] كتاب السبعة في القراءات 66 «ثمّ لم تَزَلْ [= قراءة عبد الله بن مسعود] في صَحَابَتِهِ من بعدِهِ، يأخذها

أمر طبيعيّ وآعتياديّ، لكن خُصَّ بالقيام على الإقراء بصفة رسميّة أبو عبد الرحمن السلميّ (ت73/74/75هـ)[1]؛ فقد عيّنه الخليفة عثمان بن عفّان (ت35هـ) بعد الانتهاء من نسخ المصاحف الموحّدة إمامًا مقرئًا لمقرأ الكوفة بجامعها[2]وبعثه إليهم مع المصحف الكوفيّ[3]، كما فعل مع سائر الأمصار غرض آعتماد نسخة موحّدة من القرآن في المقارئ التعليميّة المنعقدة في جوامعها. لقد توخَّى الخليفة عثمان في آختياره السلميَّ خصائِصَ، على رأسها 1) كونه صاحب قرآن، فقد قرأ القرآن وبرع في حفظه وجوّده، 2) كونه عدلًا ثقةً، إذ عرفه كلّ من الصحابة عثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب وآبن مسعود وزيد بن ثابت وأُبَيّ بن كعبٍ[4]،ﷺ، تمام المعرفة، لأنّه تعلّم منهم القرآن وعرضه عليهم[5]، وذلك بالمدينة المنوّرة، إذ أصلُهُ منها ويُنْسَبَ

الناسُ عنهم، كعَلْقَمَةَ والأسودِ بنِ يزيدَ ومسروقِ بنِ الأجدعِ وزِرّ بنِ حُبيشٍ وأبي وائلٍ وأبي عمرٍو الشَّيْبَانيّ وعبيدةَ السَّلْمانيّ وغيرهم»، سير أعلام النبلاء 259/5 «كان أبو عمرٍو الشَّيْبَانيُّ يُقْرِئُ الناسَ في المسجدِ الأعظمِ».

جدير بالإشارة هنا إلى أنّ كثيرًا من أصحابه من أوائل التابعين الذين أدركوا عهد النبوّة دون لقيا النبيّ، ﷺ، مثل المقرئ عبيد بن نَضْلَةَ الكوفيّ (ت73/74هـ). عنه تاريخ الثقات 323 (1085)، غاية النهاية497/1-498 (2071). «ذكره آبنُ حزم في كتاب طبقات القرّاء في الطبقة الأولى من أهل الكوفة مع أبي عمرٍو الشيبانيّ وأبي عبد الرحمن السلميّ وتميم بن حذلم وأبي ميسرة عمرو بن شرحبيل والحارث بن قيس وهذيل بن شرحبيل، وقال: كلُّ هؤلاءِ أَخَذَ القراءةَ عن آبنِ مسعودٍ وأدركوا كلّهم النبيَّ، صلّى الله عليه وآله وسلّم، إلّا أنّهم لم يَلْقَوْهُ»، كما في تهذيب التهذيب 76/7 (164).

[1] هو عبد الله بن حبيب الضرير. ولد في حياة النبيّ، ﷺ، ولأبيه صحبة. عنه الطبقات الكبرى 172/6-175، معرفة القرّاء الكبار 146/1-151 (18)، غاية النهاية 413/1-414 (1755).

[2] الطبقات الكبرى 172/6 «كان إمامَ المسجدِ»، معرفة القرّاء الكبار 146/1 «الإمام، مقرئ أهلِ الكوفة» و 148 «كان إمامَ المسجدِ»، غاية النهاية 413/1 (س2) «مقرئ الكوفة».

[3] جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة القصائد 374.

[4] تاريخ الثقات 504، معرفة القرّاء الكبار 147/1 و 150، غاية النهاية 413/1 (س3-5).

[5] كتاب السبعة في القراءات 68، جمال القرّاء وكمال الإقراء 462/2.

إليها بالمدنيّ[1]ثمّ بالكوفيّ، 3) كونه في عداد أصحاب عبد الله لكثرة أخذه عنه ولزومه له. وهذا جانب مهمّ للغاية، إذ لم يختر الخليفة لهذه المهمّة أحدًا من غير أصحاب آبن مسعود، بل قصد أن يكون أحدهم تحاشيًا لمزيد من الاعتراض على صنيعه من أهل الكوفة[2]، كما جَعَلَ المصحفَ الكوفيَّ الذي بعثه إليهم بدايةً عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ مُرَادٍ[3]ولم يَأْمُرْ بوَضْعِهِ في جامع الكوفة الكبير للسبب ذاته.

كان أَقْرَأَ الناسَ في مسجد الكوفة الأعظم أربعين سنة[4]، وذلك في خلافة عثمان بن عفّان (ت35هـ) إلى أن توفّي في إمرة بشرِ بنِ مَرْوَانَ (ت75هـ) على العراق سنة 73هـ في قولٍ أو 74هـ في قولٍ آخر أو في أوّل ولاية الحجّاج بن يوسف الثقفيّ (ت95هـ) في سنة 75هـ[5]. وهو الذي رَوَى مباشرةً عن عثمان عن النبيّ، ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[6]. وكان لهذا الحديث النبويّ الشريف بالغ الأثر عليه وعلى مسيرته التعليميّة، إذ قال في حقّه: «فذلك الذي أَقْعَدَنِي هذا ٱلْمَقْعَدَ»[7]. ولم يَمْنَعْهُ يومًا مانعٌ ولا عارِضٌ من أداء مهمّته التعليميّة على وجهها دون كللٍ ولا تعبٍ، فكان يُحْمَلُ في الطينِ في اليوم المطير[8]، وكان يُذهَبُ به مِنْ

[1] تاريخ الثقات 503 «أبو عبد الرحمن السلميّ المدنيّ الأعمى».

[2] سير أعلام النبلاء 486/1-488.

[3] هذا ما قاله الإمام حمزة الزيّات (ت156هـ)، كما في كتاب المصاحف 238/1 (115).

[4] كتاب السبعة في القراءات 67-68، جمال القرّاء وكمال الإقراء 462/2، معرفة القرّاء الكبار 147/1، غاية النهاية 413/1 (س15).

[5] تاريخ الثقات 503-504 (1990)، كتاب السبعة في القراءات 68، جمال القرّاء وكمال الإقراء 463/2، معرفة القرّاء الكبار 147/1-148 و 151.

[6] الطبقات الكبرى 172/6، جمال القرّاء وكمال الإقراء 462/2، معرفة القرّاء الكبار 149/1، غاية النهاية 413/1 (س23-24).

[7] معرفة القرّاء الكبار 149/1، غاية النهاية 414/1 (س1). نظيره الطبقات الكبرى 172/6 «فذاك أجلسني هذا المجلس»، جمال القرّاء وكمال الإقراء 462/2.

[8] الطبقات الكبرى 172/6، معرفة القرّاء الكبار 148/1.

مَجْلِسِهِ، إذ كان أعمى[1]. وقد صام في حياته ثمانين رمضان.[2]

لقد سلك في طريقة تعليمه نهج الصحابة القائم على الجمع غير المفصول بين العلم النظريّ والتطبيق الفعليّ على أرض الواقع؛ فها هو يؤكّد أوّلًا على أخذِ الصحابة بهذا النهج والعمل به، ثمّ أخذِ أوائلِ التابعين، مثله، بنهجهم ومنهاجهم، ثمّ تحذيرهم الأجيال المقبلة من التخلّي عن هذا النهج القويم بقولِهِ: «أَخَذْنَا القرآنَ عن قَوْمٍ أَخْبَرُونَا أنّهم كانوا، إذا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إلى العَشْرِ الأُخَرِ حتَّى يَعْلَمُوا ما فِيهِنَّ، فَكُنَّا نَتَعَلَّمُ القُرْآنَ والعَمَلَ بِهِ. وَسَيَرِثُ القُرْآنَ بَعْدَنَا قَوْمٌ يَشْرَبُونَهُ شُرْبَ المَاءِ، لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، بل لا يُجَاوِزُ هٰهنا؛ ووَضَعَ يَدَهُ عَلَى حَلْقِهِ»[3]- في رواية أخرى: «حدّثني الذين كانوا يُقْرِئُونَنَا، عثمان بن عفّان وعبد الله بن مسعود وأُبَيّ بن كعبٍ، رضي الله تعالى عنهم، أنّ رسولَ الله، ﷺ، كان يُقْرِئُهُمُ العَشْرَ؛ فلا يجاوزونها إلى عَشْرٍ أُخْرَى حتّى يتعلّموا ما فيها من العملِ؛ فتعلّمنا القرآنَ والعملَ جميعًا»[4].

[1] معرفة القرّاء الكبار 149/1.

[2] الطبقات الكبرى 175/6، معرفة القرّاء الكبار 151/1، غاية النهاية 413/1 (س23).

[3] الطبقات الكبرى 172/6، معرفة القرّاء الكبار 148/1-149 [اللفظ له، مدرج في آخره حديث نبويّ]، غاية النهاية 413/1 (س16-20).

[4] كتاب السبعة في القراءات 69. نظيره معرفة القرّاء الكبار 150/1.

كان يُقْرِئُ عشرين آيةً بالغداة وعشرينَ بالعشيّ[1]، ويُخْبِرُهُمْ بمَوْضِعِ العَشْرِ والخَمْسِ، ويُقْرِئُ خَمْسًا خَمْسًا، يعني خَمْسَ آياتٍ خَمْسَ آياتٍ،[2] كما أخذ بذلك تلميذه عاصمُ بنُ بَهْدَلَةَ (ت127هـ)[3] الذي خلفه في موضعه بعد وفاته[4].

وكانا يبدآن بأهل السوق، لئلّا يُحْبَسُوا عن معايشهم[5]، بينما كان نافع المدنيّ (ت169هـ) والكسائيّ (ت189هـ) يبدآن مَنْ سَبَقَ ولا يَنْظُرانِ إلى حالِهِ[6]. أمّا حمزة الزيّات (ت156هـ)، فكان يقدّم الفقهاءَ؛ فأوّلُ مَنْ يقرأ عليه سفيانُ الثَّوْرِيُّ (ت161هـ) ومِنْدَلُ بنُ عليّ العَنَزِيُّ (ت167هـ)[7] وأبو الأَحْوَصِ الحَنَفِيُّ (ت179هـ)[8] ووكيعُ بنُ الجَرَّاحِ (ت197هـ)، فيُقْرِئُهُمْ خَمْسِينَ خَمْسِينَ، ثمّ يُقْرِئُ بَعْدَهُمُ الكِسَائيَّ وسُليمًا ونَحْوَهما ثلاثين آيةً.[9]

وكان أبو عبد الرحمن السلميّ، رحمه الله، إذا جمع الرجلُ عنده – أَيْ حفظ جميع القرآن، دعاه وأجلسه بين يديه ووعظه وأمره بما شاء الله، عزّ وجلّ، أن يأمره، ثمّ يقول له: ما أعلمُ أحدًا أَفْضَلَ مِنْكَ، إِنْ أخذتَ بما تَعَلَّمْتَ.[10]

---

[1] بالإجمال ولأكثر من مجموعة.

[2] الطبقات الكبرى 172/6. نظيره كتاب السبعة في القراءات 69.

[3] يقول ابن مجاهد في أَخْذِ أبي بكرِ بنِ عيّاشٍ القراءةَ عن عاصمٍ في كتاب السبعة في القراءات 71: «تَعَلَّمَهَا مِنْهُ تَعَلُّمًا: خَمْسًا خَمْسًا». نظيره جمال القرّاء وكمال الإقراء 446/2 «عن أبي بكرِ بنِ عيّاشٍ، رحمه الله: لَمّا أَتَتْ لي إحدى وعشرون سنةً، أتيتُ عاصمًا، فأخذتُ عنه القرآنَ خَمْسًا خَمْسًا».

[4] كتاب السبعة في القراءات 69.

[5] جمال القرّاء وكمال الإقراء 447/2، غاية النهاية 413/1 (س20-21).

[6] جمال القرّاء وكمال الإقراء 447/2.

[7] أبو عبد الله الكوفيُّ. عنه تهذيب الكمال 493/28-499 (6176).

[8] هو سَلَّام بن سُلَيْم الكوفيُّ. عنه تهذيب الكمال 282/12-285 (2655)، 16/33.

[9] جمال القرّاء وكمال الإقراء 447/2.

[10] جمال القرّاء وكمال الإقراء 462/2.

الخاتمة:

لقد عرفت البصرة والكوفة بالعراق، كما عرفت حمص ودمشق وبيت المقدس ببلاد الشام، في صدر الإسلام حلقات إقراء وتعليم وتفقيه، قام عليها نخبة من الصحابة الكرام من ذوي الدراية برعاية خاصّة وعناية مخصوصة من الفاروق، ثمّ تلتها متابعة سديدة لسياسته التعليميّة والتفقهيّة من خلال مشروع المصاحف (العثمانيّة) من قبل ذي النورين، إذ عمل من جهةٍ على توحيد المصاحف ونسخها وتزويد البلدان الإسلاميّة بها وألغى من جهةٍ أخرى سواها من مصاحف بحوزة بعض الصحابة لم تكن على العرضة الأخيرة. لقد تقدّمت حلقات المقارئ التعليميّة في جوامع هذه البلدان الممصّرة والمفتوحة تقدُّمًا غير معهود، وذلك بفضل الأيدي الأمينة التي سهرت على تأسيسها وإنشائها والجهود المتكاتفة التي عملت على إنجاحها وتفعيلها، فأصبحت كلّيّات قرآنيّة، بل جامعات إسلاميّة ذوات نظم تعليميّة ومناهج تدريسيّة، قد خرّجت أجيالًا جديدة من أهل العلم والمعرفة بشرائع الإسلام، وولّدت حركة تعليميّة واسعة النطاق ونهضة فكريّة تنويريّة في مختلف بلاد المسلمين، كان لها بالغ الأثر على تطوُّر منظومة علوم الدين وتطويرها، خصوصًا علوم القرآن.

ثبت المصادر والمراجع:

الآجُرِّيّ، أبو بكر محمّد بن الحسين بن عبد الله (970/360): أخلاق حَمَلَة القرآن [يليه آداب تلاوة القرآن وتأليفه للسيوطيّ (1505/911)]. تحقيق وتعليق: فوّاز أحمد زمرلي. بيروت: دار الكتاب العربيّ، ط1، 1987/1407، 136ص.

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمّد بن إدريس الرازيّ (240-327/854-938): الجرح والتعديل. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2002/1422، 10ج/10مج.

ابن أبي داود، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستانيّ (230-316/844-929): كتاب المصاحف. دراسة وتحقيق ونقد: محبّ الدين عبد السبحان واعظ. بيروت: دار البشائر الإسلاميّة، ط2، 1423/2002، 2مج.

ابن الأثير، أبو الحسن عزّ الدين عليّ بن محمّد الجزريّ (555-630/1160-1233): أسد الغابة في معرفة الصحابة. تحقيق وتعليق: عليّ محمّد معوّض، عادل أحمد عبد الموجود. بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1994/1415، 7ج/7مج.

ابن تيميّة، أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرّانيّ (661-728/1263-1328): أهل الصفّة وأحوالهم. دراسة وتحقيق: مجدي فتحي السيّد. طنطا: دار الصحابة للتراث، ط1، 1410/1990، 64ص.

ابن الجزريّ، أبو الخير شمس الدين محمّد بن محمّد بن محمّد الشافعيّ (751-833/1350-1429): غاية النهاية في طبقات القرّاء. عُني بنشره: گ. بيرگشتريسر. القاهرة: مطبعة السعادة، ج1:1351/1932، ج2-3:1352/1933، 3ج/2مج؛ النشر في القراءات العشر. أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرّة الأخيرة: عليّ محمّد الضبّاع. بيروت: دار الفكر، [د. س.]، 2ج/2مج.

ابن الجوزيّ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن عليّ بن عبد الله الحنبليّ (508-597/ 1114-1201): مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب. تحقيق: عليّ محمّد عمر. القاهرة: مكتبة الخانجي، ط2، 1417/1997، 349ص.

ابن حجر العسقلانيّ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن عليّ بن حجر (773-852/1372-1449): الإصابة في تمييز الصحابة. دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، عليّ محمّد معوّض. بيروت: دار الكتب العلميّة، ط3، 1426/2005، 9ج/9مج؛ تهذيب التهذيب. حيدرآباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظاميّة، 1326/[1908]، 12ج/12مج؛ لسان الميزان. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ / مؤسّسة التاريخ العربيّ، ط2، 1422/ 2001، 11ج/11مج.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل الشيبانيّ الوائليّ (164-241/780-855): كتاب العلل ومعرفة الرجال. تحقيق وتخريج: وصيّ الله عبّاس. بيروت / الرياض: المكتب الإسلاميّ / دار الخاني، ط1، 1408/1988، 4مج.

ابن رجب الحنبليّ، أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد البغداديّ ثمّ الدمشقيّ (736-795/1335-1393): حماية الشام المسمَّى فضائل الشام. حقّقه وخرّج أحاديثه وآثاره: إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي. عمّان/الرياض: بيت الأفكار الدوليّة، 1424/2004، 208ص.

ابن سعد، أبو عبد الله محمّد بن سعد بن مَنِيع الزهريّ (168-230/784-845): الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر/دار بيروت، 1377-1388/1957-1968، 8مج ومجلّد فهارس.

ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد النمريّ القرطبيّ (368-463/978-1071): الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق: عليّ محمّد البجاوي. القاهرة: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، [د. س]، 4ق/4مج.

ابن عَبْدِ الرزّاق، عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الدمشقيّ الحنفيّ (1075-1138/1665-1726): حدائق الإنعام في فضائل الشام. حقّقه وعلّق عليه وفهرسه: يوسف بديوي. دمشق: دار المكتبي، ط1، 1415/1995، 252ص.

أبو عُبيد، القاسم بن سَلَّام الهرويّ (157-224/774-838): فضائل القرآن. تحقيق وتعليق: وهبي سليمان غاوجيّ. بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1411/1991، 280ص.

أبو نُعيم الأصبهانيّ، أحمد بن عبد الله بن أحمد الشافعيّ (336-430/948-1038): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1418/1997، 12ج/12مج؛ معرفة الصحابة. تحقيق: محمّد حسن محمّد حسن إسماعيل، مسعد عبد الحميد السعدني. بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1422/2002، 5مج.

أرنولد، توماس و.: الدعوة إلى الإسلام: بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلاميّة. ترجمه إلى العربيّة وعلّق عليه: حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي. القاهرة: مكتبة النهضة المصريّة، [1391]/1971، 521ص.

البخاريّ، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفيّ (194-256/810-870): كتاب التاريخ الكبير. تحقيق: مصطفى عبد القادر أحمد عطا. بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1422/2001، 8ج/8مج؛ صحيح البخاريّ. بيروت: دار الفكر، 1414/1994، 8ج/4مج ومجلد الفهارس.

الجَعْبَرِيّ، أبو محمّد برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الخليليّ الشافعيّ (640-732/1242-1332): جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد. تحقيق: فرغلي سيّد عرباوي. القاهرة: مكتبة الشيخ فرغلي سيّد عرباوي، ط1، 1436/2015، 1001ص.

حمدان، عمر: ظاهرة التخميس والتعشير في نزول القرآن وأثرها في طرائق التلقّي الأول. بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العالميّ الثاني (التلقّي القرآنيّ في العهد النبويّ: أنماطٌ ومآلاتٌ). مرّاكش: مركز الإمام أبي عمرو الدانيّ للدراسات والبحوث القرائيّة المتخصّصة، 2015/1436، 3مج؛ مشروع المصاحف الثاني في العصر الأمويّ. مجلّة البحوث والدراسات القرآنيّة 4/2 (2007/1428) 63-116.

خليفة بن خيّاط، أبو عمرو شَبَاب العُصْفُريّ (854/240): تاريخ خليفة بن خيّاط. رواية بَقِيّ بن مَخْلَدٍ. حقّقه وقدّم له: سُهيل زكّار. بيروت: دار الفكر، 1993/1414، 527ص.

الذهبيّ، أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (673-748/1274-1348): تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربيّ، ط1، 1407-1424/1987-2004 (طبقة 2-75)، 51مج؛ سِيَر أعلام النبلاء. حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط [وغيره]. بيروت: مؤسّسة الرسالة، ط1، 1401-1409/1981-1988، 25مج؛ معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار. تحقيق: طيّار آلتى قولاچ. إستانبول: وقف الديانة التركيّ، ط1، 1995/1416، 4مج.

الزِركليّ، خير الدين بن محمود بن عليّ (1310-1396/1893-1976): الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. بيروت: دار العلم للملايين، ط9، [1411]/1990، 8مج.

السخاويّ، أبو الحسن علم الدين عليّ بن محمّد بن عبد الصمد المصريّ الشافعيّ (558-643/1163-1245): جمال القرّاء وكمال الإقراء. تحقيق: علي حسين البوّاب. مكّة المكرّمة: مكتبة التراث، مطبعة المدنيّ، ط1، 1987/1408، 2ج/2مج.

العاني، عبد الرحمن عبد الكريم / زعين، حسن فاضل: الخليفة الفاروق عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه. بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة، ط1، [1409]/1989، 204ص.

العِجْليّ، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح (875-797/261-182): تاريخ الثقات. بترتيب الحافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثميّ المتوفَّى سنة 807 وتضمينات الحافظ ابن حجر العسقلانيّ. وثّق أصولَه وخرّج حديثَه وعلّق عليه: عبد المعطي قلعجي. بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1405/1984، 552ص.

الفسويّ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (890/277): كتاب المعرفة والتاريخ. رواية عبد الله بن جعفر بن دَرَسَتويه النحويّ. تحقيق: أكرم ضياء العمري. بيروت: مؤسّسة الرسالة، ط2، 1981/1401، 3مج.

المزّيّ، أبو الحجّاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (1341-1256/742-654): تهذيب الكمال في أسماء الرجال. حقّقه وضبط نصّه وعلّق عليه: بشّار عوّاد معروف. بيروت: مؤسّسة الرسالة، ط1، 1992/1413، 35مج.

المقداد، محمود: تاريخ الترسُّل النثريّ عند العرب في صدر الإسلام. بيروت / دمشق: دار الفكر المعاصر / دار الفكر، ط1، 1993/1413، 424ص.

وكيع، أبو بكر محمّد بن خلف بن حيّان (918/306): أخبار القضاة. بيروت: عالم الكتب، [د.س.]، 3ج.